جوانب من التفكير السياسي بالأندلس
من خلال نماذج معينة

محمد رزوق
ذ. التاريخ الحديث بكلية آداب عين الشق الدار البيضاء.

مرت الأندلس بفترات عصيبة عبر تاريخها الطويل، وقد أفرزت هذه الوضعية نمطا خاصا من التفكير السياسي هو وليد الظروف السياسية التي كانت تعيشها آنذاك، ذلك أن الوجود العربي الإسلامي هو نفسه الذي كان مهددا، فالأمر إذن ليس مجرد رؤية سياسية حول علاقة الحاكم بالمحكوم، أو علاقة فئات اجتماعية مع بعضها البعض، إنه يتجاوز هذا بكثير.

إن الخطأ السياسي هنا يتحول بسرعة إلى جريمة سياسية تاريخية تضع صاحبها في قفص الاتهام أمام محكمة التاريخ وبالتالي يصبح من واجب قادة الفكر التصدي لهذا الأمر بقوة، وذلك ببث الوعي ورسم منهاج سياسي واضح لأصحاب الشأن، ومن هنا تأتي أهمية الفكر السياسي الذي تركه هؤلاء، إذ لا يجب النظر إليه كتفكير سياسي مجرد يصلح في كل زمان ومكان، بل - في تقديرنا - يجب وضعه في إطاره الزماني والمكاني الذي نشأ فيه، وأي تأويل يجب أن يأخذ بعين الاعتبار هذا الجانب الخفي، خاصة وأن التساؤلات بدأت تطرح وبحدة بعد سقوط آخر معقل إسلامي بالأندلس، إذ أصبح الأندلسيون أنفسهم - ومعهم العالم الإسلامي - يتساءلون: كيف سقطت الأندلس وهي تعج بالعلماء والأدباء والشعراء، كيف سقطت وهي في أبهى حلل الحضارة والرقي الاجتماعي؟ بمعنى آخر: هل انتبه قادة الفكر في الأندلس إلى أنها كانت تسير فعلا نحو الانهيار والسقوط رغم ما كان يظهر عليها من معالم حضارية بارزة؟ هل أهمل حكام الأندلس صيحات مفكريها بدعوى أنها غير واقعية؟ هل وهل ...

كل هذه الأسئلة طرحت بحدة، والأدهى من ذلك أنه بعد السقوط وبعد هجرة الأندلسيين إلى المغرب العربي وضعوا أمام "محاكمات" فريدة من نوعها، فقد كانوا يتهمون باستمرار أن الأندلس ضاعت بسبب تعاونهم ولهوهم ومجونهم، وبالتالي فإن ما وقع لهم هو غضب من الله وعقاب طبيعي ضد أي فئة تهمل شؤون دينها، فكان على أندلسيي المغرب أن يبحثوا في تاريخهم، وأن يبحثوا في إنتاج مفكريهم، ليقدموا لهم هذا الإنتاج كورقة دفاع أمام المغاربة، بمعنى أنهم جاهدوا وكابدوا، ليثبتوا أن ما حصل هو قدر من الله، وعلى كل، سنحاول مقاربة هذا التفكير باختيار نماذج معينة متجاوزين الصراعات الفكرية والمذهبية التي كانت قائمة بالأندلس آنذاك، مكتفين

بربط هذا التفكير بالواقع السياسي بالأندلس بكامل مكوناته، ومركزين بالخصوص على الفترات العصيبة، أي على الفترات التي بدأت فيها ملامح الأزمة تظهر بوضوح، وبالتالي بدأ هذا التفكير السياسي كرد فعل مباشر وسريع تجاه الأزمة.

أولا: التفكير السياسي بالأندلس بعد سقوط الخلافة: ابن حزم نموذجا:

ترسخت المركزية السياسية في عصر الخلافة منذ إعلانها بقرطبة من طرف عبد الرحمان الناصر سنة 316هـ/928م إلى حين إلغائها سنة 422هـ/1031م، إذ نجح هذا الأخير في القضاء على التمزق السياسي وأعاد بسط سلطة قرطبة على أقاليم الأندلس وثغورها. لكن بوفاة الحكم المستنصر سنة (366هـ/976م) بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الخلافة الأموية، فلقد تمكن محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور من الحجر على الخليفة هشام الثاني، ونهج سياسة خاصة تجلت بالخصوص في محاربة الفكر المستنير ومطاردة الفلاسفة والمعتزلة، وإتلاف ذخائر مكتبة الحكم المستنصر الذائعة الصيت، كما فتحت أبواب الأندلس للقبائل الأمازيغية المتطلعة إلى المزيد من النفوذ والسطوة. وقد استمرت الأوضاع في التدهور بعد ذلك مما عجل بانفجار الأوضاع بقرطبة على إثر ثورة العامة وإسقاط الحجابة العامرية سنة 399هـ/1009م. وتعتبر هذه الثورة التي حركها الباعة والحرفيون إحدى أكبر وأهم الثورات في العصور الوسطى. وبعد عجز الجميع عن إيجاد حل لهذه الأزمة ويأسهم من إمكانية التعايش في ظل نظام الخلافة اتفق الرأي بقرطبة على إلغائه، وكان ذلك إيذانا ببداية عصر الطوائف.

ستعرف الأندلس في عصر الطوائف انقساما سياسيا خطيرا لم تعرف له مثيلا من قبل، يقول ابن الخطيب في هذا الصدد:"... وذهب أهل الأندلس من الانشقاق، والانشعاب، والافتراق، إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار، مع امتيازها بالمحل القريب، والخطة المجاورة لعباد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث، ولا في الإمارة سبب، ولا في الفروسية نسب، ولا في شروط الإمامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار، واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والأمصار وجندوا الجنود، وقدموا القضاة، وانتحلوا الألقاب، وكتبت عنهم الكتاب الأعلام، وأنشدهم الشعراء، ودونت بأسمائهم الدواوين، وشهدت بوجوب حقهم الشهود، ووقفت بأبوابهم العلماء، وتوسلت إليهم الفضلاء ..."[1].

[1] ـ لسان الدين ابن الخطيب، **أعمال الإعلام في من يويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق ليفي برفنصال، بيروت، 1956، ص. 109 – 110.

وهكذا فقد تصارع ملوك الطوائف فيما بينهم، وازداد الخطر العسكري المسيحي من الشمال حيث توج ذلك باحتلال الفونسو السادس ملك قشتالة لطليطلة سنة 478هـ/1085م، وكان لهذا الاحتلال نتائج سياسية خطيرة، فقد وضع حدا لسياسة التعايش مع ملوك الطوائف، وأصبح يعتبر نفسه حاكما شرعيا للأندلس كلها، إذ اقتنع بوجوب إخضاع الدول الطائفية الأخرى[1].

والجدير بالذكر أن علماء الأندلس لم يكونوا بمنأى عن هذه الأوضاع، فقد ارتفعت الأصوات بالدعوة إلى الاتحاد، وكان على رأس هؤلاء الفقيه أبو الوليد الباجي (403 – 474هـ) الذي طاف في مدن الأندلس وقواعدها يحث الناس على جمع الكلمة ووحدة الصف[2]. وهناك عالم آخر عبر بوضوح وبقوة عن انتقاده لهذه الوضعية وهو ابن حزم.

موقف ابن حزم تجاه الأحداث:

يقول ابن حزم في هذا الصدد:"... وأما ما سألتم عنه من أمر هذه الفتنة وملابسة الناس بها مع ما ظهر من تربص بعضهم ببعض، فهذا أمر امتحنا به، نسأل الله السلامة. وهي فتنة سوء أهلكت الدين إلا من وقى الله تعالى من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب. وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حسن في شيء من أندلسنا هذه، أولها عن آخرها محارب لله تعالى ورسوله وساع في الأرض بفساده الذي ترونه عيانا من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضارهم، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقفون على أهلها، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين، مسلمون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله، غرضهم فيها استدام نفاذ أمرهم ونهيهم فلا تغالطوا أنفسكم ولا يغرنكم الفساق المنتسبون إلى الفقه اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون على فسقهم، فالمخلص لنا فيها الإمساك للألسنة جملة واحدة إلا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذم جميعهم، فمن عجز منا عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعة، وما أدري كيف هذا، فلو اجتمع كل من ينكر هذا بقلبه لما غلبوا ..."[3].

وهكذا نلاحظ من خلال هذا النص موقف ابن حزم من الفتنة ومن ملوك الطوائف إذ يعتبرهم مجرد مغتصبين ومفسدين في الأرض، لأن الفتنة في الأندلس تتخذ بعدا أكثر خطورة، فهي ليست مجرد فتنة عابرة، بل إنها بداية اقتراب سقوط الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس، من هنا نفهم سبب تشبث ابن حزم بالخلافة

---

[1] ـ أنظر مزيدا من الإيضاح عند امحمد بن عبود، **التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف**، تطوان، 1983، ص. 250 – 255.

[2] ـ أنظر عبد الرحمان علي الحجي، **التاريخ السياسي**، دمشق، 1987، ص. 338 – 354.

[3] ـ **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق إحسان عباس ، بيروت، 1981، 3: 173.

الأموية بالأندلس ودفاعه عنها، لأنها خلافة وحدت البلد، ولأن سقوطها كان بداية لسقوط الوجود الإسلامي بها، ويقول عن ذلك:"...لما كانت الخلافة من الله على منهاج رسوله، وإقامة شرائع دينه، احتاج الناس إلى من يقوم فيهم مقام نبيهم صلى الله عليه وسلم لتتألف برهبته الأهواء المختلفة وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقة، وتنكف بسطوته الأيدي المتغلبة، وتنقمع من خوفه النفوس المعاندة، لأن في طباع البشر من حب المغالبة والقهر، ما لا ينكفون عنه إلا بمانع قوي، ورادع كفي، فلما تحقق بذلك الصحابة والمؤمنون، واجتمع على الأخذ به العقلاء والمسلمون لم يكن بد من اجتماع على إمام يحفظ الدين، من غير تبديل أو زيادة عليه أو نقص منه، ويحث على العمل به من غير إهمال له، ويذب عن الأمة من عدو في الدين وعمارة البلدان باعتماد مصالحها وتمهيد سبلها ومسالكها، وتنفيذ من يتولاه المسلمون من الأموال بسنن الدين من غير اعتساف في أخذها وإعطائها، ومعاناة المظالم والأحكام بالتسوية بين أهلها، واعتماد النصفة في فضلها، وإقامة حدود الله على مستحقيها من غير تجاوز فيها، ولا تقصير عنها..."[1].

واجبات الخليفة حسب ابن حزم:

أورد ابن حزم هذه الواجبات في "كتاب السياسة"[2]، والجدير بالذكر أن الأفكار الواردة في هذا الكتاب مستمدة أساسا من الواقع المتمزق الذي كانت تعيشه الأندلس آنذاك، سواء على الصعيد الديني أو السياسي أو الاقتصادي أوالاجتماعي، لذلك لا غرابة أن نجد فيه أن تقديم النصح هو السمة الغالبة، فهو ما يفتأ يحث الإمام على انتقاء الوزير اللائق وعلى مشاورة أصحابه وولاة جنده وأن يشجع العمارة والفلاحة.

وعلى كل فإنه يلخص أفكاره في أشياء محددة:

1 - "حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، وأن نجم مبتدع فيه أو زاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحجة وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروسا من خلل، والأمة ممنوعة من الزلل".

2 - "تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة، فلا يتعدى ظالم، ولا يضعف مظلوم".

---

[1] - أورده ابن رضوان المالقي في كتابه **الشهب اللامعة في السياة النافعة**، الدار البيضاء، 1984، ص. 59 – 60.

[2] - ما زال إلى اليوم يعتبر في حكم المفقود، غير أن الأستاذ المرحوم محمد إبراهيم الكتاني استخلص من كتاب ابن رضوان "**الشعب اللامعة...**" نقلة من كتاب:"**السياسة**"، وقد **نشرها الدكتور علي سامي النشار في آخر الجزء الثاني من كتاب بدائع السلك...** لابن الأزرق، بغداد، 1977.

3 - "الحماية والذب عن الحريم، ليتصرف الناس في المعايش، وينتشرون في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال".
4 - "إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن انتهاك، وتحفظ الأمة عن إتلاف واستهلاك".
5 - "تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة، حتى لا يظفر الأعداء بغرة، ينتهكون بها محرما، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دما".
6 - "جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم، أو يدخل في الذمة ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله".
7 - "جباية الفيء والصدقات، على ما أوجبه الشرع نصا واجتهادا".
8 - "تقدير العطاء، وما يستحق من بيت المال من غير سرف ولا تقصير ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير".
9 - استكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء، فيما يفوضه إليهم من الأعمال ويكل إليهم من الأموال، لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محوطة".
10 - "أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال، لينهض بسياسة الأمة، وحراسة الملة..."[1].

إنه في تقديمه لهذه النصائح كان يستجيب للحاجة التاريخية للأندلس بعدما كثرت المؤامرات داخل البلاط، وادعاء الحجاب التكلم باسم الخليفة الذي لا يراه أحد، إنها نصائح لا تفهم إلا انطلاقا من خبراته في الحياة في فترة معينة تقلد فيها مناصب سياسية هامة في الدولة وخبر فيها أمور البلاط.

إن القواعد التي سعى ابن حزم في حقيقتها معارضة صريحة وعلنية ضد ملوك الطوائف، فكل قاعدة منها هو اتهام علني ضدهم:

- فهو يدعو إلى أصالة الدين ووحدته باعتباره أساس وحدة الأمة لأن في ظهور البدعة والاختلاف ابتعاد عن الحقيقة، والابتعاد عن الحقيقة يؤدي حتما إلى الفتنة.
- وهو يدعو إلى إقامة العدل والأمن للرعية، خاصة وهو على علم بما كان يقع، نتيجة انصراف ملوك الطوائف عن ذلك واشتغالهم بمسائلهم الخاصة.
- وهو يدعو إلى تحصين الثغور وإلى الجهاد لعلمه بتخاذل ملوك الطوائف، بل وتحالفهم مع ألفونس السادس ودفعهم له الجزية.
- وهو يشير كذلك إلى ضرورة جباية الضرائب الشرعية فقط ، لعلمه أن ملوك الطوائف فرضوا ضرائب غير شرعية وثقيلة على رعاياهم مما كان يؤدي إلى ثورتهم باستمرار.
- وأخيرا ينهي قواعده بالتأكيد على ضرورة اختيار أطر الدولة الأكفاء، لعلمه أيضا

[1] - أورده ابن رضوان في كتابه **الشهب اللامعة**، ص.74-75.

بالطريقة التي كان يختار بها المسؤولون عن تسيير دواليب الدولة.

لم يعش ابن حزم ليشاهد علماء الأندلس يتبعون أفكاره فيما يتعلق بمعارضته لملوك الطوائف، كما لم يعش ليرى إعادة توحيد الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين، بعد معركة الزلاقة التي شارك فيها علماء الأندلس أنفسهم[1].

سنجد علماء أندلسيين آخرين بعد ابن حزم في المراحل الموالية (المرابطية والموحدية) واعين كل الوعي بخطورة الموقف، وهنا نشير إلى أنهم كانوا على إلمام تام بضرورة تماسك الجبهة الداخلية لمواجهة الأخطار الخارجية، وسنعطي كنموذج لذلك ابن رشد.

ابن رشد وقضايا مجتمعه:

لا تخفى أهمية ابن رشد كفيلسوف شهد بعبقريته الجميع، لكننا سنتناول بالدرس ابن رشد المفكر السياسي، خاصة وأن اهتمامه معروف بقضايا مجتمعه، إذ أن كل الذين تحدثوا عنه اعترفوا بأنه كان في خدمة قومه، فابن عبد الملك المراكشي يسجل هذه الشهادة في ترجمته:"...وكان على تمكن حظوته عند الملوك وعظم مكانته لديهم لم يكفف جاهه قط في شيء يخصه ولا في استجرار منفعة لنفسه، إنما كان يقصره على مصالح بلده خاصة ومنافع سائر بلاد الأندلس عامة، واستمرت حاله على ما ذكر من تولي القضاء بقرطبة وعرف التهم بها والاعتناء بمآربه إلى أن نكب النكبة الشنعاء في عام ثلاثة وتسعين وخمسمائة..."[2].

وابن فرحون يؤكد نفس الشهادة ذاكرا أنه "لم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلما وفضلا، وكان على شرفه، أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا".

ثم يقول:"وحمدت سيرته في القضاء بقرطبة، وكانت له عند الملوك وجاهة عظيمة ولم يصرفها في ترقيع حال ولا جمع مال، إنما قصرها على أهل بلده خاصة..."[3].

وهنا يجب أن نذكر أن المجتمع الذي كان ينتمي إليه، وهو مجتمع قرطبة، كان من أشد المجتمعات وعيا ومطالبة بشهادة المؤرخ ابن سعيد الذي يذكر أن عامتها شر من عامة العراق الذين سلط عليهم الحجاج ويؤكد " أن عامتها أكثر الناس فضولا وأشدهم تشغيبا ويضرب بهم المثل ما بين أهل الأندلس في القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا بهم ..."[4].

---

[1] ـ أبو الحسن علي بن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، ليبيا، تونس، 1975 – 1979، القسم الأول: 188.

[2] ـ ابن عبد الملك، **الذيل والتكملة**، 6: 25.

[3] ـ ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ص. 284.

[4] ـ أحمد المقري، **نفح الطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1966، 1:155.

ومع ذلك لم يسجل أي مؤرخ ـ حسب علمنا ـ أن احتكاكا وقع بين ابن رشد ومواطنيه في قضايا معينة، أو أنه أساء التصرف، بل نجد الشهادات المجمعة كلها في صالحه، مما يدل على خبرة الرجل بقضايا مجتمعه، ووعيه بخطورة المرحلة التي تجتازها الأندلس، وأن لا سبيل إلى التهاون في مثل هذه القضايا، لأن ذلك يؤدي إلى الفتنة، والفتنة تؤدي حتما إلى السقوط الشامل بأيدي المسيحيين المتربصين.

ومما يدل على خبرته ودرايته بأمور السياسة ما أورده في كتاب **تلخيص الخطابة** عند تعرضه للمواضيع التي يهتم بها الخطيب في كلامه للجمهور، يرى أن الأهم منها هي التي تتعلق بقضايا الجماعة، قضايا الشعب، وهي التي يسميها "الأمور العظام"، فيقول عنها:"والأمور التي يشير بها الخطيب منها ما يشير به على أهل مدينة بأسرهم، ومنها ما يشير به على واحد من أهل تلك المدينة أو جماعة، فأما الأشياء التي تكون في الأمور العظام من أمور المدن، فهي قريبة من أن تكون خمسة: أحدها الإشارة بالعدة المدخرة من الأموال للمدينة، والثاني الإشارة بالحرب والسلم، والثالث الإشارة بحفظ الشعر مما يرد عليه من خارج، والرابع الإشارة بما يدخل في البلد ويخرج عنه، والخامس الإشارة بالتزام السنن"[1].

ابن رشد والدعوة إلى الاتحاد والجهاد:

وهما أمران مرتبطان: "الاتحاد ضروري للجهاد بشقيه الأصغر والأكبر، ومن هنا كان إلحاح ابن رشد في كتبه النقدية:**فصل المقال، ومناهج الأدلة، وتهافت التهافت**، على الاتحاد فهو ما فتئ يؤكد على فكرة واحدة وهي أن تمزقا حدث في أمة المسلمين، وأنه ينبغي وضع حد لهذا التمزق.

وعندما يتعلق الأمر بالجهاد فإن ابن رشد يتحول من موقف الفيلسوف الهادئ الرصين إلى موقف الوطني الغيور الذي يذكي الحماس في نفوس أبناء بلده، ويقول عنه ابن عبد الملك في هذا الصدد:"وكان حسن الخلق جميل المداراة، فصيح العبارة، وجادا للكلام في المجالس السلطانية والمحافل الجمهورية. قال أبو القاسم بن الطيلسان: سمعت كلامه بالمسجد الجامع من قرطبة وهو يحض الناس على الجهاد والغزو في سبيل الله"[2].

ثانيا: التفكير السياسي بالأندلس إزاء اشتداد الأزمة والاقتراب من النهاية:

ظلت القواعد الأندلسية تتساقط باستمرار إلى أن انحسرت أخيرا في جنوب الأندلس بغرناطة وضواحيها، حيث تكونت مملكة بني الأحمر التي عمرت أزيد من قرنين ونصف عرفت فيها أحداثا جساما سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، فالانقسامات كانت تنخر جسم الدولة النصرية باستمرار، والضغط المسيحي كان على

---

[1] ـ ابن رشد، **تلخيص الخطابة**، القاهرة، 1967، ص 61.

[2] ـ ابن عبد الملك، **الذيل والتكملة**، 6: 24.

أشده، إما بالهجوم مباشرة، أو بتقديم المساعدة لهذا الثائر أو ذلك مقابل وعود معينة، وكل هذا كان يجري على مرأى ومسمع من مفكري وعلماء الأندلس، وبالتالي فقد كان عليهم أن يتأملوا ويحاولوا تشخيص الداء للبحث عن الدواء، خاصة وأن العديد من هؤلاء شاركوا في الأحداث السياسية، وعاينوا بأنفسهم الظرف التاريخي الذي كانت تعيشه المنطقة، وسنختار نماذج من هؤلاء بعد التقاط صور لبعض الأحداث السياسية التي كانت تعيشها المنطقة[1].

ابن عاصم في مواجهة الأزمة:

دخلت مملكة غرناطة عهد الانحلال السياسي بعد وفاة الغني بالله محمد الخامس بن الأحمر عام 793هـ/1391م، إذ خلفه على عرش غرناطة ابنه يوسف الثاني[2]. إلا أن هذا الأخير لم يعش طويلا فتوفي في السنة التالية 794هـ/1392م، وولي العرش بعده ابنه محمد السابع الذي كان أكثر اعتماده في تسيير زمام الأمور في مملكة غرناطة على قائده محمد الخصاصي[3]. وفي عهد محمد السابع سنة 799هـ وقعت معركة قرب جبل طارق بين السفن القشتالية من جهة وسفن المسلمين (الأندلسيين والتونسيين والتلمسانيين) من جهة أخرى انتهت بهزيمة المسلمين وتدمير سفنهم[4].

وفي عهد يوسف الثالث وقعت على أهل غرناطة هزيمة كبيرة في انتقيرة Antequera سنة 813هـ / 1410م، وقد سقط في هذه المعركة أبو يحيى بن عاصم المعروف بالشهيد.

وقد تواصلت الفتن والاضطرابات السياسية في عهد الغالب بالله محمد بن نصر الأمير، إذ خلع عن عرشه أربع مرات، وكان ملك قشتالة جوان الثاني Juan II يعمل على تأجيج هذه الفتن، ويزيد في اضطرامها بمختلف الأساليب، وذلك كي يتسنى له بسط سيطرته على مملكة غرناطة، وقد بسط أبو يحيى بن عاصم، مؤلف **جنة الرضا**، ذلك في رسالته التي خاطب بها أهل غرناطة على إثر انتهاء فتنة أبي الحجاج يوسف بن أحمد بن نصر أبي أخت الأيسر سنة 851هـ / 1448م.

وهذه الرسالة ذات قيمة كبيرة إذ تصور حال غرناطة وطبيعة الصراع بين أهلها وبين القشتاليين.

---

[1] ـ حول مملكة بني نصر أنظر الدراسة القيمة التي أنجزتها الأستاذة راشيل أريي
R. Arié : L'Espagne musulmane au temps des narrides, Paris, 1973.

[2] ـ أنظر أحمد المقري،**نفح الطيب**، 7: 169، **أزهار الرياض**، 2: 19، عبد الرحمان بن خلدون:**العبر**، 4:384، القلقشندي،**صبح الأعشى**، 5: 263.

[3] ـ أحمد المقري، المصدر السابق، 7: 169.

[4] ـ احمد بن القاضي، **درة الحجال**، 3: 126.

والجدير بالذكر أن ابن عاصم لم يكن بعيدا عن هذه الأحداث فقد كان من خاصة السلطان محمد الأيسر، وفي كل مرة يخلع فيها هذا السلطان كان الخطر يحيق بخاصته ووزرائه ومنهم ابن عاصم، ولذلك قضى ابن عاصم حياته في خوف وقلق، ولحقته محن أشار إلى كثير منها في كتابه جنة الرضا[1].

وهكذا فقد تولى مفكرنا اثنتي عشرة خطة، منها القضاء والكتابة والوزارة والإمامة والخطابة في فترات عصيبة بالنسبة للأندلس، وشاهد أمام عينيه مدن الأندلس تسقط الواحدة تلو الأخرى، ولم يبق بيد المسلمين إلا غرناطة التي بدأ العدو يستعد للوثوب عليها. وقد لاحظ عدم جدية ملوك بني نصر وتعاونهم لاشتغالهم بفتنهم الداخلية وأفضت به تأملاته إلى تأليف كتاب في شكل "صور" محاولا البحث عن أسباب المأساة وفي نفس الوقت التحذير من الخطر الداهم، وقد لاحظ المقري ذلك، وهو بصدد نقل نص للمؤلف المذكور، قائلا: "عندما رأى (ابن عاصم) اختلال أمر الجزيرة - أعادها الله - وأخذ النصارى - دمرهم الله - لمعظمها، ولم يبق إذ ذاك بيد المسلمين إلا غرناطة، وما بقرب منها مع وقوع فتن بين ملوك بني نصر حينئذ، ثم أفضى الملك إلى بعضهم، بعد تمحيص وأمور يطول بيانها، ألف كتابا سماه:"**جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى**" وهو كتاب عجيب جدا، غريب ..."[2].

وسنحاول أن نلقي نظرة على كتابه متوجين من ذلك الوقوف على الهدف منه، ومنهجه في تحليل المأساة.

يوضح ابن عاصم أول الأمر الهدف من تأليفه كتابه قائلا:"إنما قررت من هذا التمثيل ما قررت، وحررت فيه من العبارة ما حررت ليكون لي ولمن اعتبر بمثل اعتباري ووثق ما حققت له من اختيار تذكره، ومن غفلة هذه النفوس الأمارة بالسوء تبصرة ..."[3]. ولهذا الغرض فإنه يورد العديد من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية، وكلام الحكماء وقصص الأولياء، وأحداث تاريخية متنوعة تؤيد ما ذهب إليه. ووضع الكتاب في ست صور:

الصورة الأولى: "أن يكون الابتلاء في المقتنيات العزيزة على النفوس كالمال والجاه وما أشبه ذلك متوقعا في الاستقبال وليس بواقع في الحال".

الصورة الثانية: "أن يكون الابتلاء فيها واقعا في الحال، وهو مأمول الجبر ولا مرجو الزوال".

الصورة الثالثة: "أن يكون الابتلاء فيها واقعا في الحال إلا أنه غير مأمول الجبر ولا مرجو الزوال".

---

1 - أنظر تفصيل ذلك في مقدمة تحقيق الكتاب للدكتور صلاح جرار. وقد صدر الكتاب بعمان، سنة 1989، في 3 أجزاء.

2 - **أزهار الرياض**، 1: 50.

3 - **جنة الرضا**، 1: 97.

الصورة الرابعة: "أن يكون الابتلاء في النفوس أو ما لحق بها من أعضاء وقوى متوقعا في الاستقبال وليس بواقع في الحال".
الصورة الخامسة: "أن يكون الابتلاء فيها واقعا في الحال إلا أنه غير مرجو الارتفاع والزوال".

تحت هذه الصور من الابتلاءات والتمحيصات والاختبارات جزئيات متعددة ينشأ عنها من الحزن والأسف والوجد والتعب والكرب والقلق والهم والنكد وغير ذلك من التأثيرات النفسانية ما يذهل العقل ويشغل الفكر ويغمر القلب ويتعب النفس ويضيق الصدر ويذهب النوم ويطرد الأنس، ويتفاوت أثره بحسب مآثره في اللين والشدة والثقل والخفة والكثرة والقلة وبحسب الملاقي له والوارد عليه وقوة الجأش وضعفه ومضاء العزيمة ووهنا"[1]. وهي صورة توحي لأول وهلة أنها بين اليأس والرجاء، إلا أنه بالتدقيق فيها يتضح أن صور الرجل تميل إلى اليأس أكثر من الرجاء فإنه قد تمرس بالسلطة وعرف رجالها كما أنه خبر قوة المسيحيين ومكايدهم ومدى قدرة واستعداد المسلمين على المواجهة وهذا ما يتضح بجلاء من بين ثنايا الصور:"... ولا أمل للطاغية إلا في التمرس بالإسلام والمسلمين، وإعمال الحيلة على المؤمنين، وإضمار المكيدة للموحدين، واستبطان الخديعة للمجاهدين، وهو يظهر أنه ساع للوطن في العاقبة الحسنى، وأنه منطو لأهله على المقصد الأسنى، وأنه مهتم بمراعاة أمورهم، وناظر بنظر المصلحة لخاصتهم وجمهورهم، وهو يسير حسوا في ارتغائه، ويعمل الحيلة في التماس هلك الوطن وابتغائه، فبالعقول تقبل مثل هذا المجال، وتصدق هذا الكذب بوجه أو بحال، وليت المغمور الذي يقبل هذا لو فكر في نفسه، وعرض هذا المسوغ على مدركات حسه، وراجع أوليات عقله وتجريبات حدسه، وقاس عدوه الذي لا نرجى مودته على أبناء جنسه، فأناشده الله هل بات قط لمصالح النصارى وسلطانهم مهما ... "[2].

فالرجل إذن واع بخطورة الأساليب التي يتبعها المسيحيون لضرب المسلمين هناك خاصة وأنهم استمالوا عددا منهم بدافع المصلحة الآتية، ونداؤه هنا صريح: وهو أن التعاون مع هؤلاء هو في حقيقة الأمر تمهيد غير مباشر لسيطرة المسيحيين على ما تبقى من أرض المسلمين، هو على مستوى العامة يدعوهم إلى عدم التعاون مع المسيحيين، وعلى مستوى السلطة: يدعوها إلى الاتحاد لأن الفرقة في السلطة تؤدي حتما إلى دب الخلاف بين العامة مما يهيئ إضافيا للقوات المسيحية المتربصة:"... فاتحاد السلطان في مثل هذه الأوطان واجب قياسا وسماعا، وتعدد الخلافة في مثل هذه المسافة غير جائز إجماعا، ... تعلمون حقا أن هذا الوطن الأندلسي كان قد تحين

[1] - المصدر السابق، 1: 109 – 110.
[2] - المصدر السابق، 2 : 297 – 298.

للهلاك بسبب هذا الخلاف وتوقعت القلوب المشفقة حدوث الفاقرة بوقوع هذا الاختلاف ..."[1].

ومن خلال ما أوردناه نلاحظ أن ابن عاصم في تحليله للمأساة يركز على ثلاث نقط:

- أساليب العدو في الاستيلاء على أراضي المسلمين بالمكايد والحيل.
- الخلاف في السلطة.
- عدم التمسك بالعقيدة (بفعل الحملات التشكيكية القوية التي كان يمارسها المسيحيون).

وهذه العوامل متكاملة إلى حد كبير، فاستمالة المسلمين تقتضي التشكيك في عقيدتهم، والخلاف في السلطة يؤدي إلى إضعافها وعدم القدرة على مواجهة المحاولات التجريبية التي يقوم بها المسيحيون لهدم الكيان العربي الإسلامي. لكن يبقى السؤال دائما مطروحا: هل وجدت نداءات ابن عاصم آذانا صاغية ؟

إن التاريخ يبين عكس ذلك ! فالمسألة كانت قد استشرت داخل المجتمع الإسلامي الأندلسي بغرناطة إلى حد كبير، والإسبان كانوا على الأبواب.

أبو عبد الله محمد بن الأزرق (ت 876هـ /1491م): محاولة تشخيص الداء:

اشتغل ابن الأزرق بأربع وظائف، اثنين رسميتين، واثنتين تطوعيتين، أما الرسميتان فهما القضاء والسفارة، وأما التطوعيتان فهما التدريس والإفتاء[2]. وقد شغل هذه المناصب بالأندلس (خاصة مسقط رأسه مالقة وغرناطة).

وقد كانت له مشاركة واسعة في الفقه والعقائد والأدب والتاريخ كما تدل على ذلك مؤلفاته[3]، على أن ما يهمنا بالنسبة لموضوعنا هو كتابه في السياسة: بدائع السلك في طبائع الملك[4] كتبه ابن الأزرق سنة 883هـ / 1478م ولم يلبث مدة حتى سقطت مالقة موطنه سنة 692هـ / 1487م، فهل استشعر النكسة قبل وقوعها ؟

أوضح ابن الأزرق الهدف من تأليف كتابه قائلا:"... قصدت إلى تلخيص ما كتب الناس في الملك والإمارة والسياسة التي رعيها على الإسعاد بصالح المعاش والمعاد أصدق إمارة على نهج يكشف عن محيا الحكمة قناع الاحتجاب، ويأتي في تقريره لتهذيب ما فصل وتحريره بالعجب العجاب، لا تحف به من تشوف لهذا

---

[1] ـ المصدر السابق، 2: 301.

[2] ـ محمد بن عبد الكريم، مقدمة تحقيق كتاب **بدائع الملك**، ص. 613.

[3] ـ أنظر جملة من تآليفه عند أحمد المقري، **أزهار الرياض**، 3: 318.

[4] ـ هناك تحقيقان للكتاب: إحداهما للدكتور علي سامي النشار، والثاني لمحمد بن عبد الكريم، تونس، 1977، في جزأين، وسنعتمد هذا التحقيق الأخير.

الغرض، ولم يعدل فيه من الجوهر إلى العرض، من أمير صدقت فيه رغبته وظهرت، ومأمور وضحت له دلائل الإفادة به وبهرت..."[1].

وفعلا فالكتاب في كثير من جوانبه تلخيص لما أورده ابن خلدون، فكأنه أراد بذلك أن ينبه إلى ما سبق أن نبه إليه الأول عندما استعرض أسباب فساد العمران، وهو إن اختلف مع سابقيه من حيث المنهج فإن الهدف مع ذلك واحد، إذ هو مرتبط أساسا بالوضعية السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعيشها الأندلس آنذاك، فحاول من خلال استعراض (قواعد الملك) أي الأسس التي يجب أن يرتكز عليها كل حكم أراد لنفسه الاستقرار والبقاء، فقد وضع الأندلس أمام الصورة بكل وضوح عندما استعرض هذه الأسس، أي أن مخالفتها تؤدي حتما إلى هدم الكيان ككل وقيام كيان جديد دخيل وهو في هذه الحالة: الإسبان.

ولهذا فكتاب ابن الأزرق اعتبارا لهذه الأسس جميعا تشخيص للداء ومحاولة للبحث عن الدواء.

أبو القاسم ابن رضوان المالقي: التحذير:

عاين ابن رضوان تمزق الأندلس، وسقوط الثغور، الثغر تلو الثغر، كما عاين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتردية بالأندلس، عاين حكام غرناطة وهم يثقلون كاهل الرعايا بالضرائب غير الشرعية، عاين النزاعات بين أفراد البيت المالك، عاين تكالب القوات المسيحية على غرناطة، بل وتحالف بعض الثائرين مع الممالك المسيحية ضدا على المسلمين، عاين، وعاين ...، وبعد التأمل، تكونت لديه قناعة بضرورة الرحيل إلى المغرب المريني، خاصة وأن جهاد أبي الحسن بالأندلس ما زال مائلا أمام الأذهان، وذلك للبوح بما كان يكتمه في صدره وهو بعيد عن أرض الصراع، فألف كتابه الشهب اللامعة في السياسة النافعة[2]، والكتاب وإن ألف أصلا للسلطان أبي سالم المريني (حكم من 760هـ إلى 762هـ) إلا أنه في الحقيقة يعتبر بمثابة تحذير قوي وشديد للسلطان يشبه فيه من مغبة أن يقع بالمغرب ما وقع بالأندلس، فهو إنذار بوقوع الكارثة. فهو في كتابه يستشهد كثيرا بما أورده ابن حزم والطرطوشي، ملمحا إلى ما كان يدعو إليه هؤلاء من ضرورة تماسك الجبهة الداخلية لمواجهة الأخطار الخارجية، فهو من خلال خمس وعشرين بابا يحاول أن يرسم قواعد سليمة للملك[3].

[1] ـ **بدائع السلك**، 1: 59.
[2] ـ نشر بتحقيق الدكتور سامي النشار، الدار البيضاء، المغرب، 1984.
[3] ـ أنظر تحليل هذه الأبواب في المقدمة التي عقدها الدكتور علي سامي النشار لتحقيق الكتاب.

السقوط:

ظلت مملكة غرناطة لسنوات تصارع الموت، صامدة ضد هجمات المسيحيين. ونستطيع أن نستخلص عوامل هذا الصمود من خلال نص أورده مارمول Marmol وهو بصدد الحدث عن غزو غرناطة قائلا:"...كان الأمير أبو الحسن ملك غرناطة هو الأمير التاسع عشر من بيت بني الأحمر، وقد صار أقوى من تولوا هذه الإمارة منذ انقراض خلفاء عبد الرحمان. وقد تأتى له ذلك بسبب ما وقع بين الأمراء النصارى من النزاعات، فقد كانت إمارته غنية وكثيرة السكان بعد أن لجأ إليها المسلمون من جهات إسبانيا ليكونوا رعية لأمير من أمتهم، وكانت لديه مدافع كثيرة وذخيرة بالإضافة إلى جيشه من الفرسان والراجلة المجهزين بالبنادق، وقد سارعت إليه العساكر من كل بلاد البربر ولاسيما من المناطق القريبة مثل جبال غمارة، وكان عطاء هؤلاء المحاربين يزيد على عطاء غيرهم لأنهم كانوا أعداء ألداء للنصارى..."[1].

هناك إذن، حسب هذا المؤرخ الإسباني القريب من الأحداث على الأقل ثلاثة عوامل ساعدت على هذا الصمود:

- تماسك الجبهة الداخلية في مملكته غرناطة، وتصميم رجالها على الدفاع عن حوزة بلادهم بتأييد من الفقهاء والعلماء.
- تنازع الممالك المسيحية في الشمال، إذ حال ذلك دون اتخاذ تدابير حاسمة ضد المملكة الإسبانية.
- مساعدة بني مرين والمجاهدين المغاربة عموما، إذ كانت هذه المساعدة تضفي الحيوية على لاعمليات العسكرية التي تقوم بها مملكة غرناطة.

لكن بمجرد اختفاء هذه العوامل بدأت مؤشرات السقوط تظهر في الأفق، فالبيت المالك أصبح منقسما على نفسه ومملكة قشتالة أوراجون توحدتا وعقدتا العزم على اقتحام آخر معقل إسلامي بالمنطقة والمغرب لم يعد قادرا على تقديم ما كان يقدمه من مساعدات بسبب أزماته السياسية والاقتصادية التي كان يمر بها آنذاك، وبدأت مرحلة جديدة تختلف جذريا عن المرحلة السابقة.

هكذا انتهت فصول هذا النزاع المرير الذي خاضه العرب بالأندلس وهو صراع كان يدرك وزنه جيدا الإسبان، إذ اعتبروه نقطة تحول هامة في تاريخهم، وهو في نفس الوقت يدل على أهمية المقاومة المغربية ولننظر إلى الذي تركه المؤرخ الإسباني السالف الذكر وهو يتحدث عن دخول الإسبان قصر الحمراء:"... دخل النصارى إلى قصر الحمراء في جو أثقله الهدوء، ولما استخلصوا لأنفسهم مجموع مرافقه، صعد الكاردنال إلى أحد الأبراج بالقصر ونصب فوقه صليبا كبيرا من فضة، ولواء الملكية

---

[1] - إفريقيا، 1 : 431 – 432.

المسيحية ... وما أن أبصرت الملكة الصليب منصوبا فوق قصر الحمراء، حتى انحنت نحو الأرض واقفة على ركبتيها وهي تصلي وتوجه الشكر إلى ربها، أثار المشهد الحماسي في نفوس أعضاء حاشيتها فعكفوا يرتلون الأناشيد الدينية، عند ذلك بدأ فيرناندو وبعض علية القوم وأعيانهم يزحفون نحو غرناطة، ولما دخلوها، تقدم نحوه أبو عبد الله (آخر ملوك غرناطة) ممتطيا جواده، ولما دنا من فرناندو، تهيأ للنزول عن صهوته ليقدم التحية إلى الملك النصراني، لكن هذا الأخير أومأ إليه ألا يفعل شفقة عليه، فقبل أبو عبد الله مع ذلك ذراع فيرناندو اليمنى، وقدم إليه مفاتيح القصر، فتناولها الملك النصراني وسلمها إلى الكونت تنديلا الذي أصبح أول حاكم نصراني على غرناطة..."[1].

ولم يكن مفكرو الأندلس بعيدين عن هذه الأحداث، فلننتظر ما كتبه مؤرخ أندلسي مجهول عاصر سقوط غرناطة وشاهد بعينيه تمزق الأندلس والأندلسيين، وهجرتهم إلى شمال إفريقيا، فاضحا كل ممارسات حكام غرناطة والتي أدت في النهاية إلى هذا السقوط المروع. فيذكر وهو بصدد الحديث عن الفيضان الذي وقع بغرناطة سنة 883هـ:" ومن وقت هذا السيل العظيم بدأ الأمير أبو الحسن في التقهقر والانتكاس والانتقاص، ذلك أنه اشتغل باللذات، والانهماك في الشهوات، واللهو بالنساء المطربات، وركن إلى الراحة والحفلات وطبع الجند وأسقط كثيرا من نجدة الفرسان، وثقل المغارم وكثر الضرائب في البلدان، ومكن الأسواق، ونهب الأموال، وشح بالعطاء إلى غير ذلك من الأمور التي لا يثبت معها الملك، وكان للأمير أبي الحسن وزير يوافقه على ذلك ويظهر للناس الصلاح والعفاف وهو بعكس ذلك، فبقيت الحال كذلك مدة والأمير مشتغل باللذات، منهمك في الشهوات، ووزيره يضبط المغارم ويثقلها ويجمع الأموال ويأتي بها ويعطيها لمن لا يستحقها، ويجعل كل من فيه نجدة وشجاعة من الفرسان، ويقطع عنهم المعروف والإحسان، حتى باع الجند ثيابهم وخيلهم وآلة حربهم وأكلوا أثمانها، وقتل كثير من أهل الرأي والتدبير والرؤساء والشجعان من أهل مدن الأندلس وحصونها..."[2].

فالنص خطير، ويبين إلى أي حد وصلت الأمور في الأندلس، وكأن النتيجة كانت معروفة مسبقا: "... ثم بعد ذلك دعاهم إلى التنصر وأكرههم عليه وذلك سنة أربع وتسعمائة، فدخلوا في دينه كرها وصارت الأندلس كلها نصرانية ولم يبق من يقول لا إلاه إلا الله محمد رسول الله جهرا، إلا من يقولها في قلبه أو خفية من الناس، وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الآذان وفي مساجدها الصور والصلبان، بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، فكم فيها من عين باكية وكم فيها من قلب حريق وكم فيها من الضعفاء

[1] - المصدر السابق، 1: 744.

[2] - مؤرخ مجهول،**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، تحقيق: ألفريد البستاني، العرائش، المغرب، 1940، ص. 5 – 6.

والمعدومين ولم يقدروا على الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين، قلوبهم تشتعل ودموعهم تسيل سيلا غزيرا مدرارا، وينظرون أولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان، ويأكلون الخنزير ويشربون الخمر التي هي أم الخبائث والمنكرات، فلا يقدرون على منعهم ولا نهيهم ولا على زجرهم ومن فعل ذلك عوقب أشد العقاب ! فيا لها من فجعة ما أمرها ومصيبة ما أعظمها وأمرها وطامة ما أكبرها..."[1].

وقد كان وقع السقوط في النفوس كبيرا، ومن أشهر المراثي التي نظمت في رثاء الأندلس رثاء أحمد الدقون لها بقصيدة مطلعها:

أمنت من عكس آمال وأحـــوال	**وعشت ما بين أعـــوام وأحـــوال**
ولا ابتليت بما في القلب من نكد	**فالجسم مشتغـل من غير أشغـــال**
وكيف لا وبقاع الديـــن خاليــة	**من أرض أندلـس من أجـل أهوالـــي**
عمت فغمت قلـــوب المسلمـــين	**فيـا للمسلميـن من أعـدا وأنكـال**[2]

وبعد، هذه نظرة عامة عن التفكير السياسي بالأندلس من خلال نماذج معينة، رأينا فيها كيف كان هذا التفكير يقظا مستنيرا، يرشد وينبه، بل ويتنبأ بما سيقع، لكن عوامل داخلية وخارجية حالت دون تبني هذا الفكر من طرف القادة والحكام، لأن المصلحة الآنية والشخصية كانت تطغى في كثير من الأحيان على المصلحة العامة، ولأن تقديرات حكام الأندلس سواء فيما يتعلق بالقضايا الداخلية أو الخارجية كانت في غالب الأحيان خاطئة.

فما أحرانا اليوم ونحن نخلد ذكرى هذا السقوط أن ننتبه ونركز لئلا نقع في نفس أخطاء الماضي، والتاريخ لا يرحم.

المصادر والمراجع

-ابن رضوان المالقي أبو القاسم، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق دكتور علي سامي النشار، الدار البيضاء، 1984.

-ابن الأزرق أبو عبد الله الأندلسي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق محمد بن عبد الكريم، جزآن، تونس، 1977.

-ابن عاصم أبو يحيى الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق الدكتور صلاح جزار، 3 أجزاء، عمان، 1989.

-ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة 1973 – 1978، 4 أجزاء.

[1] ـ المصدر السابق، ص. 44 – 45.

[2] ـ أنظر القصيدة عند أحمد المقري، **أزهار الرياض**، 1: 104 – 115.

-ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، القاهرة، 1957 – 1958 في جزأين.
-ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1979.
-الطرطوشي، أبو بكر، سراج الملوك، القاهرة، 1319هـ.
-المقري أحمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، الرباط، 1978 – 1979، في خمسة أجزاء، نفح الطيب، من الأندلس الرطيب، وذكر لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1988، ثمانية أجزاء.
-الحجري شهاب الدين، ناصر الدين على القوم الكافرين، تحقيق محمد رزوق، الدار البيضاء، 1987.
-رزوق محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 – 17، الدار البيضاء 1989.
-ابن عبود امحمد، التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد الطوائف، تطوان، 1983.
-مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق الفريد البستاني، 1940، العرائش، المغرب.
-الحجي عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي، دمشق، 1987.

L'Espagne musulmane au temps des nasrides, Paris, 1973. - Arié (R),

- Dufourq (CH.E), L'Espagne catalane et le Maghreb au XIII et XIV, Paris, 1966.
- Marmol Carvajal (Luis de), **Historia del rebelion y Gastigo de los moriscos** del reino de Granada, Madrid, 1946.
- Razouk (M) , Evolution de l'Etablissement des minorités andalouses au Maroc, **in Actes du II symposium international du C.I.E.M.** Tunis, 1984, 2/139-154.
- Dosy, Reinhart P.A, **Histoire des musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides, 2ed. 3vol**, leiden, 1932.
- Levi – Provençal, Evariste, **Histoire de l'Espagne musulmane**, 3 vols, Paris, 1950.

L'Espagne musulmane au Xe siècle, institutions et Vie sociale, Paris, 1932.

La civilisation arabe en Espagne, vue générale, Caire, 1938.

Sanchez ALBORNOZ Claudio.La Espana musulmana, 2 vol. 3ed Madrid, 1973.